مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
المجلد07 / العـدد: 01 (2021)، ص 108- 128

صورة لمدن الجنوب الغربي الجزائري في الفترة العثمانية من خلال المصادر التاريخية –مُدن وادي السّاورة أنموذجا-

Brief historical background about the Algerian South western cities during the Ottoman period, which is an extract from the historical sources -Saoura cities as a model-

د. مجدوب موساوي[*1]
[1]جامعة الدكتور الطاهر مولاي، سعيدة (الجزائر)، medjdoub.moussaoui@univ-saida.dz

تاريخ الاستلام: 2021/01/14 تاريخ القبول: 2021/04/05 تاريخ النشر: 2021/06/30

ملخص:

الاطلاع على المصادر التاريخية المختلفة من كتب الرحلات والجغرافيا مكنتنا من تكوين صورة عن قصور وادي السّاورة وذلك لما وفرته لنا من معلومات تاريخية وجغرافية واجتماعية وثقافية بالغة الأهمية وعظيمة القيمة عنها؛ وهذه القصور وعلى الرغم من بيئتها الصحراوية إلا أنها ظلت طيلة سنوات من الزمن جاذبة للسكان؛ إذ عرفت الكثير من الهجرات التي توافدت عليها من أجناس متباينة في أصولها كان لها الدور الكبير في بعث الحياة فيها والأثر الحسن في استمرار نموها وتطورها.

سنحاول من خلال مقالنا هذا أن نُعرف بهذه القصور بإبراز أهم وظائفها وخصائصها.

كلمات مفتاحية: الجنوب الغربي الجزائري؛ مدن وادي الساورة؛ الفترة الحديثة؛ القصور؛ الزوايا.

Abstract:

The various Historical sources from the travels and geography books have informed us by giving us a picture of the palaces and cities of the Al-Saoura Valley, because it provided us with very important and valuable historical, geographic, social, and cultural information about them. In spite of the desert environment of these palaces, it has for years been attractive to residents. Many of the migrations that came to it from different races in its origins played a major role in the resurrection of snakes in it and the good effect on its continued growth and development.

Through our article, we will try to identify these shortcomings by highlighting their most important functions and characteristics.

Keywords: Southwestern Algeria; the cities of Saoura; modern period; alqusur; the corners.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

ظلت البيئة الجغرافية لمنطقة السّاورة منذ فترة مبكرة من التاريخ مجالا واسعا لتجمع واستقرار الإنسان بها؛ نتيجة عوامل كثيرة وبصفة خاصة موقعها الممتاز ووفرة الماء إلى جانب أمنها وهدوئها؛ هذه العوامل كانت من بين الدوافع المهمة في تأسيس القصور المتنوعة السكان وفي نمو وتطور المدن والقرى المنتشرة على ضفاف وادي السّاورة.

نهدف من خلال مقالنا هذا إلى إعطاء صورة عن قصور وادي السّاورة خلال الفترة الحديثة بتسليط الأضواء على جوانب مختلفة منها في الجغرافيا والتاريخ؛ وذلك بالإجابة على اشكاليته المتمثلة في علاقة البيئة الجغرافية لمنطقة الساورة بنشأة المدن والقرى بها ولتحقيق هذا اتبعنا المنهج التاريخي الذي اعتمدنا فيه على التحليل والاستنتاج.

2-الوسط الطبيعي لمنطقة الساورة

أ-الساورة في المجال: تنحصر الساورة بين منطقة توات في الجنوب ومنطقة جبال القصور في الشمال والمحددة بمعالم طبيعية واضحة متمثلة في السفوح الجنوبية للسلسلة الأطلسية شمالا وهضبة درعة غربا وإيقدي وعرق شاش جنوبا؛ إذ مثلت أراضيها طُرقا ومَسالكا هامة جدا لركب الحج ومختلف القوافل التجارية، كما أن الكثير من الأولياء والصلاح اختاروها لتأسيس زواياهم لما وفرته لهم من هدوء وأمن واستقرار. هذا الموقع ظل إيجابيا لتوفره على الشروط المطلوبة والمساعدة في تلبية رغبات السكان خصوصا وجود وادي السّاورة إلى جانب أودية أخرى على أراضيها وما توفره من مياه لهم ولأراضيهم والتي كانت السبب في تعمير الإنسان لهذه المناطق منذ القدم؛ وهو ما تمدنا به الشواهد الأثرية المنتشرة بها؛ إلى جانب وجود الكثير من المنخفضات التي تتخلل الجبال والتي تتميز بالانبساط والضيق وتتسع كلما اتجهنا ناحية الشرق والتي تشكلت نتيجة

جريان المياه؛ أهمها قير والسّاورة (Bouchat, 1956 : 581). هذه العوامل ساهمت في تأسيس القصور المتنوعة السكان وفي نمو وتطور المدن والقرى المنتشرة على ضفاف وادي السّاورة الذي يأخذ مجراه عند التقاء وادي زوزفانة مع وادي قير في مشارف قرية إقلي ليصل إلى منطقة توات؛ أين يحمل اسم وادي مسعود عند بلاد تاسفاوت ويصب هذا الأخير بصحراء تنزروفت (Devors, 1947: 224). تُشكل هذه القصور فيما بينها سلسلة مترابطة مع بعضها البعض من الواحات الممتدة من الشمال إلى الجنوب، منها ما اندثر ومنها ما هو قائم إلى يومنا هذا؛ وتتمثل في: إقلي؛ مازر، وروروت، بني عباس، مرحومة، الزيرق، تامترت، بشير، إديغ، بوحَديد، قصر سيدي الشيخ محمد بن عدو، لواتة، بوخلوف، أمّاس، قصر الما، المّاجة ويسمى أيضا زاوية سيدي المدني بن الحاج، أنفيد، أقدال، البياضة، تافدالت، قرزيم ويسمى أيضا زاوية سيدي عبد الله بن الشيخ، بني يخلف، تاغرديت، بوخشبة، بني غلبون، الزاوية الكبيرة، كرزاز وتسمى أيضا زاوية سيدي أحمد بن موسى، توكي أو دردوش، المّيه، تيمودي، أولاد يحي، أولاد خضير، أولاد رافع، القصر، تيمغارين، القصبات أو القصّابي (De la Martinière et Lacroix, 1896 : 709-750).

ب-حول تسمية السّاورة: ارتبطت قصور وادي السّاورة بمعاني تعكس سبب تسميتها؛ فالسّاورة أخذت اسمها نسبة إلى الوادي الذي تجري مياهه عبر أراضيها وهو وادي السّاورة، أو قد تكون أخذت اسمها هذا بسبب صناعة ساكنتها للأسّاور؛ لكون كلمة السّاورة كلمة عربية مشتقة من السِّوَارُ، وهي حليّة من الذهب مستديرة كالحلقة تُلبس في المِعصم أو الزّند؛ والجمع هو أَسْوِرة وجمع الجمع أَسَاوِر (مجمع اللغة العربية، 2004: 426). كما نجد تفسيرا آخر لتسمية هذه المنطقة بالسّاورة؛ اجتهد فيه الباحث حمادي عبد الله الإدريسي الذي يري أن سبب التسمية باسم السّاورة يعود إلى موضع تجمع قصور وقرى الوادي بواحاته على صورة وشكل أسّاور، كما يَنْسب التسمية في تفسير آخر إلى قبيلة تكون قد نزلت بالوادي إما تعميرا أو اختطاطا في فترة زمنية متقدمة؛ ويُرجِح أن

تكون هذه القبيلة هي قبيلة الأسّاور؛ القبيلة العربية التي سكنت شرق مصر والتي قدمت مع عمرو بن العاص –رضي الله عنه– في الفتح الإسلامي (حمادي، 2013: 30). كما أن بعضا من قصور وادي السّاورة أخذت اسمها من اسم القبيلة المؤسسة لها؛ كقصور بني جومي والذي أصبح يعرف فيما بعد بقصر تاغيت والقنادسة وأولاد خضير وأولاد رافع وغيرها.

ج-مناخ وادي السّاورة: لقد أفادتنا كتب الرحلات الحجية والجغرافية بعض الشيء عن مناخ وادي السّاورة خلال الفترة الحديثة (الوزان، 1983: 126)؛ وهي أن المنطقة سادها المناخ الصحراوي المُتميّز بالجفاف طول أيام السنة بسبب الارتفاع في درجات الحرارة وبصفة خاصة في فصل الصيف، ونادرا ما ينزل المطر والذي عادة ما يكون نزوله غير منتظر وغير متوقع؛ إلا أنه حين ينزل يتسبب في كثير من الأحيان في فيضانات أودية المنطقة التي تتعرض أيضا لهبوب زوابع رملية قوية معروفة محليا باسم الريفي. هذه الوضعية المناخية الصعبة؛ جعل هذه البلاد تفتقر إلى الغطاء النباتي، باستثناء شجرة الأثل (المعروفة محليا بالعريش) التي لا تحتاج إلا لقليل من الماء ويستغل منتوجها في الدباغة؛ إلى جانب شجر الدمران والذي تفضله الإبل في غذائها بمنطقة وادي السّاورة (حمادي، 2013: 53-54)؛ والمعروف على هذه النباتات أنها في معظمها نباتات شوكية وفقيرة. وبالرغم من قلة غطائها النباتي إلا أنها لم تكن طاردة للحيوان؛ فكثير من الحيوانات البرية عاشت بها كحيوان الأروي والغزال ومختلف الزواحف وأصناف الطيور متحملة للعطش والحر؛ إلى جانب الجَمل الذي خدم إنسان هذه المنطقة في مجالات متعددة. هذا الإنسان هو الذي يعود له الفضل الكبير في تسخير هذه الطبيعة لصالحه؛ رغم تعدد وكثرة معيقاتها من حرارة وجفاف وتصحر وغيرها من معيقات أخرى، وهو نفسه استطاع أن يبعث الحياة فيها ويتكيف مع بيئتها مستغلا في ذلك كل شيء موجود بها، معتمدا على جهده وأفكاره وكثير من الصبر؛ إذ جعل من منطقة وادي السّاورة عامة قصورا وواحات نخيل ومجاري مياه عذبة وأسواق...

3-الوسط البشري لمنطقة الساورة

أ-البدايات الأولى لحركة التعمير بالمنطقة: يعود تاريخ تعمير منطقة الساورة إلى عصور ما قبل التاريخ، وهو ما تمدنا به الشواهد الأثرية المنتشرة بها والتي مثلت بصمة الإنسان الأولى الذي عمّر المنطقة منذ آلاف السنين مُتخذا من الكهوف والمغارات سكنًا له. هذه الشواهد الأثرية المتنوعة من رسومات ونقوش صخرية وقبور هرمية...وغيرها؛ عبرت عن حضارة إنسانية واسعة شهدت على طريقة معيشة المجتمعات الأولى عاداتها وتقاليدها؛ وعلى أنواع كثيرة من الحيوانات التي عاشت منذ فجر التاريخ بالمنطقة. هذه الشواهد التاريخية عُثر عليها في مواضع عديدة بمنطقة وادي السّاورة؛ وخاصة في كل من قصور القنادسة وتاغيت ومرحومة ببني عباس وغيرها من القصور الأخرى؛ استهوت هذه المحطات فضول الكثير من الباحثين قصد دراستها واكتشافها وقد أوردهم (Flamand) في كتابه "الحجرة المكتوبة "؛ ومنهم: (bonnet) (Tissot) (Hamy) (Barthe). ,(Flamand) (25-53 :1921) وأهم ما لفت نظر هؤلاء الباحثين؛ هو تنوع أشكال هذه النقوش ومضامينها التي لها دلالات عَقدية (دينية) ؛ وقد اتفق جل الباحثين أن ظهور هذه النقوش في الصحراء والشمال الإفريقي عامة يعود إلى العصر النيوليتي (العصر الحجري الحديث) (Gsell, 1913: 54).

ب-التركيبة البشرية لمدن وقرى وادي السّاورة وخصائصها خلال الفترة الحديثة: رغم قساوة طبيعة وادي السّاورة؛ إلا أنها ظلت طيلة قرون قديمة من الزمن جاذبة للسكان المتباينة في عروقها وأصولها، مما كان له الأثر الحسن في نمو مدنها وقراها وازدهارها، وذلك من خلال تحقيق أفرادها لتكافل وتضامن وتكامل فيما بينهم وفي مجالات شتى؛ خصوصا وأن بيئتهم صحراوية عُرف عنها أنها صعبة. ولمعرفة التطور الذي لحق تعمير هذه المنطقة ومعرفة أصول ساكنتها؛ نُميز في تركيبتها ما يلي:

1-البربر: هم أول من استوطن وعمّر واحات الصحراء على أوسع نطاق منذ عهود قديمة؛ من خلال هجراتهم المتتالية التي لم تتوقف؛ يُمثلون أغلبية زناتية وأقلية صنهاجية احترفوا الزراعة والتجارة، وهو ما أفادنا به ابن خلدون في كثير من الإشارات في ثنايا كتابه؛ منها قوله: " ...ومن قبائل مضغرة أيضا بصحراء المغرب كثيرون نزلوا بقصورها واغترسوا شجرة النخل... فمنهم بتوات... إلى تمنطيت آخر عملها قوم كثيرون موطنون مع غيرهم من أصناف البربر، ومنهم في قِبلة تلمسان وعلى ستة مراحل منها..." (بن خلدون، 1988: 158، 241).

شكلت العناصر البربرية الزناتية بمنطقة وادي السّاورة طوال قرون قاعدة بشرية كبيرة، رغم ما طرأ عليها من عناصر سكانية جديدة في فترات مختلفة.

2-العرب: سكنت هي الأخرى منطقة وادي السّاورة؛ ونُميز فيهم:

أ-الأشراف: هم الذين ينتسبون للبيت النبوي من علويين وأدارسة؛ حظيُّوا بمكانة مميزة في المجتمع من حب واحترام وتقدير كبير لهم؛ يمثلون القوة الروحية والدينية بالمنطقة؛ كما لهم الفضل على الثقافة والتصوف في هذا الإقليم كافة الذي وفدوا إليه بدءًا من القرن 4هـ-10م؛ نزحوا إلى المنطقة بقيادة عيسى بن عبد الرحمان الإدريسي في أعقاب المذبحة التي تعرضوا لها بفاس على يد موسى بن أبي العافية حوالي سنة 317هـ/929م. ومن الأشراف الذين سكنوا وادي السّاورة نجد الشرفاء الأدارسة بالزاوية التحتانية لبلاد بني قومي بوادي زوزفانة (بن عبد الله، 1976: 132، 194؛ حمادي، 2013: 247-252، مزيان، 1988: 73).

ب-المرابطون (الزوّا): هو اللقب الذي سُميّت به العائلات العربية الغير شريفة؛ لكنها ترجع في أصولها إلى آل البيت النبوي من غير نسل سيدتنا فاطمة الزهراء –رضي الله عنها– كالعباسيين والجعفريين والعقيليين والعلويين؛ أو من ذرية الصحابة كالأنصار والمهاجرين، أو من ذرية الأولياء الصالحين وأصحاب الرباطات للجهاد ونشر العلم والزوايا الدينية من العرب بل حتى من البربر. هم أيضا حظيُّ بمكانة مُميزة في المجتمع من حب

واحترام وتقدير كبير لهم؛ ومن هؤلاء المرابطين المنتشرين بمدن وقرى السّاورة نجد: آل الشيخ سيدي عيسى ولد الحيرش من قصر بشار؛ أبناء الشيخ محمد بن أبي زيان من قصر القنادسة؛ بني قومي من الزاوية الفوقانية والتحتانية بتاغيت؛ أبناء الشيخ سيدي أحمد بن موسى من زاوية كرزاز؛ أولاد الشيخ محمد بن عثمان من قصر إقلي؛ أبناء الشيخ محمد بن عبد السلام بن أبي زيد عبد الرحمان من لا يخاف من قصر بني عباس؛ آل سيدي عبد الله بن الشيخ من زاوية قرزيم؛ أبناء الشيخ بن جراد الدمراني من الزاوية الكبيرة؛ ثم القُضْية وهم من مرابطي قصر بني يخلف (حمادي، 2013: 252-257؛ بن عبد الله، 1976: 43).

ج-العرب العوام: ينحدرون من القبائل المعقلية والتي تُشكل أغلبية بمنطقة وادي السّاورة والتي توافدوا عليها عبر فترات زمنية مختلفة بحثا عن الأمن والاستقرار؛ وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: "...أقام بنو معقل هؤلاء في القفار وتفردوا في البيداء فنموا نموا لا كفاء له، وملكوا قصور الصحراء التي اختطها زناتة بالقفر..." (بن خلدون، 1988: 77-78)؛ ونجد منهم ذوي عبد الله وذوي منصور وذوي حسان والغنانمة الذين تمكنوا من فرض أنفسهم على الإقليم وساكنته من قبائل زناتة خاصة حيث تحكموا بهم وفرضوا عليهم الضرائب. كما نجد القبائل العربية الهلالية العدنانية؛ ومنهم أولاد جرير وذوي منيع الذين سكنوا منطقة وادي السّاورة مع نهاية القرن 6 وبداية القرن 7هـ-13م. عاشت هذه القبائل العربية قبل استقرارها حياة الترحال والتنقل؛ لتشيّد بعدها قصورا على ضفاف الأودية حيث مجاري المياه والأراضي الصالحة لغرس النخيل (بن خلدون، 1988: 27-174).

ج-اليهود: تعايش اليهود كأهل ذمة مع المسلمين بمنطقة وادي السّاورة خلال الفترة الحديثة لهم من الحقوق وعليهم من الواجبات، كما أنهم ظلوا يشعرون دوما بالحماية والأمن وسط السكان، حيث كانت تُصان أملاكهم ومصالحهم الاقتصادية؛ ينتشر بعضا منهم في قصر إقلي أين يوجد جبل تَسمى بهم وهو(جْبل لِيهودي) حيث كانوا يدفنون

موتاهم هناك (حمادي، 2013: 308، 319)، أو بقصر القنادسة وهي الإفادة التي ذكرها لنا اليعقوبي في كتابه في خضم حديثه عن كرامات شيخه سيدي محمد بن أبي زيان الذي اشتكى له بعض يهود القصر من سرقةٍ فَرد لَهم متاعهم المسروق (اليعقوبي، بدون سنة، 327).

د-الحراثين: ترجع طبقة الحراثين في أصولها إلى بلاد السودان الغربي؛ يُشكلون بمنطقة وادي السّاورة قاعدة بشرية عريضة، ساهمت المصاهرة كثيرا في تشكل طبقتهم الاجتماعية التي اختلطت فيها دماء البيض مع نساء سود؛ وكذا عمليات العتق التي حررتهم من طرف مالكيهم الطامعين في ثواب الآخرة. يُطلق عليهم اسم "القبالة" نسبة إلى سكان بلاد القبلة؛ إذ كثيرا ما يصادفنا هذا المصطلح في المصادر والقبلة تعني جهة الجنوب أي سكان الجنوب، امتهنوا رعي الغنم وعملوا في الفقاقير والحراثة والبناء وممارسة بعض الحرف اليدوية. (Suter, 1953: 448; Bouchat, 1956:594).

هـ-العبيد: هي العناصر السوداء التي استقدمت كعبيد؛ من الممالك السودانية ببلاد السودان الغربي (مالي – النيجر – نيجيريا – السنغال...) من قبل تجار توات الذين كانوا يشترونهم بأسواق النخاسة، أغلبهم من قبائل الفلُاَّن والبامبارا والمانيقو والهوسا؛ استغلوا في ممارسة الأعمال الشاقة وفي خدمة الزوايا والبيوت والحقول (حمادي، 2013: 300).

4-النشاط الاقتصادي بمدن وقرى وادي السّاورة:

تعددت الأنشطة الاقتصادية بوادي السّاورة تعدد سكانه ومدنه وقراه وفي هذا نجد:

أ-الفلاحة: اعتمدت الفلاحة بمختلف مدن وقرى وادي السّاورة على السقي لبيئتها الصحراوية المعروفة بندرة أمطارها وقلة مياه أوديتها؛ ولأجل خدمة هذا النشاط الاقتصادي أُسْتُحدثت تقنيات في السقي، كتقنية السقي بالجرارة من البئر باستعمال الدلو والحبل، وتقنية الفقارة وهي تقنية مشهورة بكل الصحراء الجزائرية واشتهر قصر بني عباس بهذا النوع من السقي والري بالإضافة إلى العيون والآبار (Berenger, 1906: 431)؛

كما اشتهر قصر إقلي بتقنية إنشاء السدود قصد تجميع وتخزين مياه أمطار الأودية وتقنية السواقي. تخصصت قصور وادي السّاورة بفلح النخيل لملائمة البيئة ووفرة المياه؛ وقد ارتبط بها السكان منذ القدم فكانت مصدر أرزاقهم وتجارتهم، وفي هذا يذكر لنا العياشي عن قصر الغابة قوله: "... وهي قرى كثيرة ذات نخيل وهي أكثر قرى الوادي تمرا..." (العياشي، 2006: 76). وعن بني عباس أيضا: "... ونزلنا قرى بني عباس وهي ثلاث قرى متصلة...فيها نخل كثير..." (العياشي، 2006: 75-79)؛ وهو القول نفسه الذي ذكره الوزان عن قصر بني جومي: ".. نخلها كثير جدا ..." وعن تبلبالة: "...أراضيها صالحة للفلاحة مغروسة بالنخيل..." (الوزان، 1983: 129). ومن أشهر وأجود أنواع التمور بواحات وادي السّاورة نجد تمور "بنت الشرك" و"حرطان".

كما اهتم السكان بغرس كل ما يحتاجونه في غذائهم من حبوب وفواكه وخضر وبقول، ويذكر السراج بأن تبلبالة كانت بها حدائق مثمرة زاهية (السراج، 1986: 27)، ويذكر العياشي بأن بني عباس كان فيها فاكهة وبساتين حسنة (العياشي، 2006: 75-79)، ويذكر الوزان بأن قرى واكدة لا ينبت فيها إلا القليل من القمح (الوزان، 1983: 132).

ومن أنواع أشجار الفواكه المغروسة نجد التين والخوخ والمشمش والرمان والتفاح وقليلا من اللوز والعنب؛ ومن الحبوب نجد زراعة الشعير وكمية قليلة من القمح والبشنة والذرة (De la Martinière, et Lacroix, 1896 : 709-750). وقد اشتهرت واحات أولاد رافع وأولاد خضير بزراعة تدلاغت وهي عبارة عن فصولياء صغيرة سمراء اللون لذيذة الطعم كان الأهالي قديما يشترون المكيال الواحد منها بمكيالين من القمح (Rames, 1941: 119).

لقد ساهمت الفلاحة بوادي السّاورة في استمرارية نمو وتطور القرى والمدن وذلك من خلال توفير الغذاء للسكان وضمان استقرارهم بها؛ كما اهتموا بالرعي وتربية الحيوان لتغطية حاجياتهم من اللحوم والألبان كالإبل والماعز والغنم التي منها نوع الدمّان والهرّاي المعروفة بوفرة حليبها وجودتها. ويفيدنا السراج بأن تبلبالة كانت من أخصب المراعي وأكثرها بوادي السّاورة (السراج، 1986: 27) في حين يذكر لنا العياشي أن وادي قير كان

مرعاه قليلا (العياشي، 2006: 75-79). كما اعتنوا بتربية الحمير والبغال والإبل والخيل التي استخدموها في أسفارهم وتجارتهم وفلاحتهم، وتميّزت قبيلة الغنانمة ومرابطي زاوية كرزاز عن قصور وادي السّاورة بامتلاك الخيل وعتاقها. كما توجد إشارات إلى ممارسة بعض السكان لحرفة الصيد؛ وهي الإفادة التي ذكرها لنا الوزان في خضم حديثه عن تبلبالة بقوله: " ...تؤكل فيها النعام والوعول التي تُصاد..." (الوزان، 1983: 129).

ب-الحرف: اهتم سكان مدن وقرى السّاورة بصفة عامة بالحرف والصنائع اليدوية التقليدية إلا أنها لم تكن مشتهرة؛ هذه الحرف توارثها السكان أبا عن جد، وتعتمد على الأيادي والجهد العضلي، ومثلت هي الأخرى مصدرا من مصادر المعاش والرزق لهم. تنوعت هذه الحرف وتعددت؛ لكنها تفاوتت من حيث الجودة والإتقان من قصر إلى آخر؛ وقد عبرت عن مهارة الإنسان بهذا الإقليم وذكائه وقدرته على التكيف مع بيئته التي أقل ما يقال عنها أنها قاسية، مستغلا في ذلك مواد هذه البيئة والتي تمكن من تحويلها إلى منتوج صناعي قابل للاستهلاك، ملبيا بذلك حاجياته اليومية الضرورية والمختلفة؛ وتمثلت هذه المواد الأولية كلها في كل ما هو طبيعي كالنخلة التي اعتبرت مصدر وأساس هذه الحرف والتي أُسْتُغل كل جزء منها في حرفة الصناعة واشتهر بها قصر بني عباس في صناعة الحصائر والأدوات المنزلية كالقفف والمكانس والحبال والأطباق والمراوح اليدوية...؛ كما استخدمت جذوعها في البناء والسقي (Rames, 1941:111-112). كما استغل الإنسان بهذه البيئة الحيوان بتحويل صوفه إلى غزل ونسيج وجلده إلى صناعة ودباغة؛ وقد ساهمت القبائل العربية المختلفة المعتمدة في حياتها على نشاط الرعي في تطويرها وازدهارها، وذلك من حيث توفيرها لمادتها الأولية. ومن هذه الصناعات نجد صناعة البرانس التي اختصت فيها النساء ولكن بكميات قليلة إلا أنها تميّزت بالجودة والإتقان وانخفاض سعرها (الهلالي، بدون سنة: 10) وصناعة القِرب المُتنوعة الخِدمة والأحذية والأحزمة والمحافظ والأغمدة.... كما استُغِل الطين في صناعة الأواني المنزلية المختلفة والحجارة في صناعة طواحين الحبوب وعمليات البناء المختلفة والخشب في صناعة

الأبواب والنوافذ والأقفال والصناديق وبعض الأدوات المنزلية كالمعالق والمغارف والقصعات. وقد تخصص اليهود بهذا الإقليم وتميزوا عن غيرهم في حرفة الصياغة وصناعة الحلي (كسبك الذهب والفضة). كما أبدع السكان أيضا في حرفة الحدادة التي تنوعت هي الأخرى من صناعة أدوات الفلاحة كالمنجل والفأس والقادوم إلى صناعة الأسلحة المتنوعة من رماح وسيوف وسكاكين (بلعالم، 2005: 75؛ حوتية، 2007: 133-141)، ويذكر (Bérenger): "أن سكان بني عباس كانوا يصنعون بعض الأدوات الحديدية المتمثلة في أدوات الفلاحة والمفاتيح وبعض المطارق الصغيرة" (Berenger, 1906: 460). هذه الحِّرف في مجملها مثلت جزءا هاما من حياة الإنسان بهذه البلاد وساهمت في استقراره وتعميره لها.

ج-التجارة: لعب الموقع الجغرافي لمنطقة السّاورة المُنفتح على منطقة جبال القصور في الشمال ومنطقة توات في الجنوب، دورا بالغ الأهمية في ازدهار وانتعاش التجارة بها؛ ويقول ابن خلدون في هذا: "...وأكثر سكان هذه القصور الغربية في الصحراء بنو يامدس هؤلاء ومعهم من سائر قبائل البربر...وأكثر معاشهم من بلح النخل، وفيهم التجار إلى بلاد السودان، وضواحيهم كلها مشتاة للعرب..." (بن خلدون، 1988: 77). كما تظهر لنا خبرة وتجربة البربر بإدراكهم ومعرفتهم لهذه البلاد من خلال إقامتهم وبنائهم لتجمعاتهم السكنية في مناطق العبور للقوافل المختلفة. هذه التجمعات أصبحت مع الزمن مراكز وحواضر هامة لها؛ وبصفة خاصة قصور القنادسة وكرزاز وبني عباس، تتزود منها حاجاتها المتنوعة من غذاء وملبس ومركب وغيرها؛ كما ظلت هذه القصور تمثل مخازن ثابتة لمختلف منتجات القبائل العربية البدوية المترحلة عبر ضواحيها، خوفا من تلفها أو سلبها بسبب الإغارة وانعدام الأمن أو التقلبات الطبيعية المختلفة من برد وحر الذي كانت تعرفه البلاد في كثير من الفترات.

لقد أدى موقع القصور الممتاز بوادي السّاورة في خط سير القوافل التجارية إلى وجودها واستمرارها عبر الزمن وبصفة خاصة القصور التي ذكرناها آنفا؛ إذ مثلت أسواقا

تستهلك فيها مختلف المنتجات الصحراوية والتلية والسودانية؛ وقد نتج عنها تشكيل علاقات داخلية وخارجية نشيطة تنظمها شبكة هامة من الطرق والمسالك ربطتها مع مختلف الجهات بوادي السّاورة ومع العالم الخارجي. وقد ساهمت الأسواق المختلفة بأدوار هامة في حياة السكان، إذ غطت احتياجاتهم اليومية من مواد غذائية واستهلاكية، وكانت المعاملات التجارية داخلها تتم بالمقايضة أو البيع بالسّكة. كما أفادتنا المصادر بأن عمليات البيع والشراء لم تكن مقتصرة على الأسواق الثابتة فقط؛ بل كانت تتم أحيانا خارجها وفي أوقات غيرها وارتبطت بمدى احتياج كل من البائع والشاري في آن واحد؛ وهو ما أفادنا به الناصري في رحلته الحجية من أن أولاد جرير حلفاء قبيلة حميان باعوا للركب الغنم والسمن وما يحتاجه من الإبل، فتبايع الناس واشتروا وربحوا (الدرعي، بدون سنة: 92).

كما أفادتنا هذه المصادر بالسلع والمنتجات التي كانت تباع أو تبدل ومنها: المواد الغذائية كالدقيق والسمن، والمواد النسيجية كالخِيّم والأكسية والبرانس والملابس المختلفة، والحيوانات والدواب كالغنم والإبل والحمير والبغال والخيول، ومواد أخرى كعلف الدواب من التبن والشعير والصوف والبارود والرصاص. إضافة إلى سلع وبضائع منطقة توات؛ التي تميّزت أسواقها كثيرا بها من حيث الوفرة والتنوع والجودة والرخاء، إذ كانت تفد إليها من جهات عديدة عن طريق القوافل؛ وبصفة خاصة تلك القوافل الوافدة من بلاد السودان لقربها منها. أما عن أسعار هذه السلع والمواد فلم تكن مستقرة؛ فكثيرا ما كانت تتسبب حالات اللأمن بوادي السّاورة أو الكوارث الطبيعة الغير مستقرة كاجتياح الجراد الذي كثيرا ما كان يعمل على إفساد الثمار أو ما تحدثه فيضانات الأودية من إتلاف للمحاصيل الزراعية إلى نقصها وندرتها وغلاء أسعارها (العياشي، 2006: 76، 79، 224؛ الوزان، 1983: 130؛ الدرعي، بدون سنة: 61). عكس فترات استتاب الأمن واستقرار الطبيعة التي كان يعم فيها الرخاء الاقتصادي والذي ساهم فيه الشرفاء والصلحاء والأولياء وأرباب الزوايا بشكل كبير من خلال حماية القوافل وتأمين المسالك.

5-مظاهر السياسة بمدن وقرى وادي السّاورة:

المعروف عن منطقة وادي السّاورة أنها كانت من جملة البلاد السائبة التي لا حاكم لها؛ فلم تكن تخضع لأي سلطة مركزية سواء في الجزائر خلال فترة الحكم العثماني، أو في المغرب الأقصى خلال فترة حكم السعديين أو العلويين؛ بل تمتعت باستقلال وحكم محلي تخضع فيه القبيلة لسلطة الزاوية والطريقة الصوفية؛ وبهذا تكون المؤسسة الدينية قد حلت محل السلطة السياسية لمنع الفوضى واستتاب الأمن وهو ما عمل به العثمانيون الذين اعتمدوا على أصحاب الزوايا ورجال الطرق الصوفية في إرساء قواعد الدولة بالجزائر عبر مختلف جهاتها ومناطقها. وبالرغم من أن منطقة وادي السّاورة والمناطق الصحراوية عموما؛ ظلت بعيدة عن أحكام السلطة المركزية بالجزائر، إلا أنها صُنفت ضمن ما يعرف بقبائل الرعيّة واقتصر ولائها على تقديم الضرائب فقط (سعيدوني، والبوعبدلي، 1984: 107). وكثيرا ما كان السكان بقصور وادي السّاورة يُعَينون قائدا عليهم كغيرهم من القبائل الأخرى المنتشرة عبر مختلف مناطق جنوب غرب الجزائر، والذي غالبا ما يكون شيخا لزاوية تُعِينه جماعة يُنصفون الناس ويفتون ويفكون النزاعات ويحررون العقود وغيرها من المعاملات المختلفة. وفي الغالب كانت الأحكام عُرفية بعيدة عن أحكام الشريعة الإسلامية؛ ونجد في هذا مثالا لجماعة وأعيان جملة من قصور وادي السّاورة سنة 1090هـ-1679م؛ التي اختارت مقدما عليها يدير شؤونها، فأجمعوا رأيهم على تعيين شيخ زاوية قصر بني يخلف سيدي عبد الله بن الشيخ الغلبوني ليكون حاكما على جميع القصور الممتدة من بلاد قرزيم شمالا إلى قصر الّميه جنوبا؛ وفق قوانين "النِّصاف" المتفق عليها إجماعا وهي قوانين في العقوبات (حمادي2، 2013: 68).

وبالرغم من أن منطقة وادي السّاورة كما سبق ذكره أنها لم تكن تخضع لأي سلطة مركزية سواء في الجزائر أو في المغرب الأقصى خلال الفترة الحديثة؛ إلا أن هذا لا يعني أنها كانت بعيدة عن مسرح الأحداث التي كانت تعرفها المنطقة، ومنها أن قصر بني عباس بوادي السّاورة كان منطلقا لحركة أحمد بن أبي محلي السياسية التي أسقطت

دولة السعديين بمراكش وعزلتها عن الواجهة فترة من الزمن. لقد اتخذ أحمد بن أبي محلي مبررات لثورته على السعديين؛ وهو عجزهم عن حماية البلاد من اعتداء النصارى الاسبان وصراع أبناء أحمد المنصور فيما بينهم على السلطة وبصفة خاصة الأمير المأمون المتواطئ مع الاسبان بتسليمه العرائش لهم مقابل إعانتهم له ضد أخيه زيدان؛ وفي هذا يقول ابن أبي محلي: "...إن أولاد المنصور قد تهالكوا في طلب الملك؛ حتى فني الناس فيما بينهم، وانتهبت الأموال وانتهكت المحارم، فيجب الضرب على أيديهم وكسر شوكتهم..." (الإفراني،1888: 206). وأمام مبرراته هذه شرع في العمل لأجل تنفيذ طموحه السياسي؛ من خلال جهوده المبذولة لإقناع الفقهاء والعلماء والأعيان بمشروعه رافعا شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويشيع على أنه الفاطمي المنتظر فمن تبعه فهو الفائز ومن تخلف فهو موبق (الإفراني، 1888: 205). وفي هذا ألف كتابا سماه "تهييج الأسود" دعا فيه وجهاء القبائل العربية والبربرية من أجل الثورة على السعديين بالمغرب الأقصى؛ والذين عاثوا في الأرض فسادا، ونصب نفسه قائدا لهذه الثورة في إطار المهدوية؛ ويقول في هذا: "...وقد تمت رسالة تهييج الأسود...؛ ولا عذر لمن تخلف عن جهادهم المُتعين اليوم على كل البشر، ومن أنذر ما عذر، كلا لا وزر، إلى ربك يومئذ المستقر، ولينصرن الله من ينصره بقوته وعزته..." (أبو محلي، بدون سنة: 13).

ومن بين العوامل التي ساعدت ابن أبي محلي على نجاح حركته بوادي السّاورة؛ هو تحريكه لروح العصبية لقبائلها المختلفة، قصد إحداث تغيير وانقلاب في الأوضاع السائدة. ولتحقيق هدفه هذا تصاهر مع وجهاء وكبار هذه البلاد؛ إذ كانت له ثلاث زوجات؛ تزوج بابنة شيخ قبيلة قصر بني عباس الشيخ عبد الله بن محمد كما كانت له زوجة ثانية من قبيلة بني قومي وزوجة ثالثة وهي ابنة سيدي الشيخ (حجي، 1978: 625). هذه المصاهرة مكنته من تثبيت نفوذه بين القبائل الكبرى؛ واستكمال مشروعه السياسي.

اجتهد أحمد بن أبي محلي لتسخير وتوظيف زوايا البلاد وبصفة خاصة زاويتي سيدي الشيخ بفجيج وزاوية سيدي أحمد بن موسى بكرزاز ورغم فشله في احتوائهما إلا

أنه نجح في استقطاب بعض رموزها إلى حركته، كاستقطابه لابني الشيخ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي وهما علي الذي مات معه في معركة جليز 1022هـ -1612م وعبد المالك العائد إلى داره بكرزاز بعد الإعلان على الثورة (الكرزازي، 2019: 73).

وبعد انهيار دولة ابن أبي محلي وبعده دولة السعديين التي لم تصمد؛ وبعد تأسيس الدولة العلوية بالمغرب الأقصى في القرن 11هـ -17م؛ ظلت منطقة وادي السّاورة مستقلة عن حكم سلاطينهم واقتصرت تبعيتها على النصح والتوسط فيما بينهم. كما كان قادة القبائل يلتمسون من السلطان الولاية لتعزيز شرعيتهم ونفوذهم محليا؛ إذ كانت القبائل وسكان القرى والأفراد يذهبون إلى فاس أو إلى العواصم السلطانية الأخرى، لطلب تحكيم السلطان أو أحد قضاته، كما كانت المراسلات بين السلطة المخزنية والصحراء لا تنقطع (حمادي، 2013: 136)؛ ولنا في هذا إشارات للعياشي الذي كان يحمل معه رسائل من هذا السلطان إلى مشايخ زوايا البلاد كزاوية سيدي أحمد بن موسى بكرزاز؛ ومنها قوله: "...وسرنا يوما حتى نزلنا بزاوية سيدي أحمد بن موسى...وأحسن صاحبها في القرى لنا ولسائر أهل الركب، وأعطى ما بعث إليه الأمير..." (العياشي، 2006: 78). وقوله أيضا: "...ومررنا ضحى بقرية يقال لها أجلي؛ وهي أول قرى وادي السّاورة، وأول القرى التي كتب لنا الأمير إليها..." (العياشي، 2006: 76). كما يذكر العياشي أثناء ذهابه إلى الحج: "أن كل البلاد من سجلماسة كانت تحت حكم وطاعة السلطان مَحمد بن الشريف". ويذكر أيضا أن ساكنة هذه البلاد كانت تُسمي المثقال الأربعيني مثقال شريف، نسبة للأمير الشريف صاحب سجلماسة، وأن كل هذه البلاد في طاعته. كما بعث الأمير عبد الملك بن السلطان إسماعيل؛ رسالة إلى شيخ زاوية كرزاز أبي بوفلجة سنة 1109هـ-1699م؛ يطلب منه التوسط لإقناع قبيلة الغنانمة بعدم الخوف من جيشه ويلتمس منه الدعاء (العياشي، 2006: 79؛ حمادي، 2013: 143).

6-المظاهر الدينية لمدن وقرى وادي السّاورة:

انتشرت المعالم الدينية وتنوعت بقصور وادي السّاورة؛ وساهمت في نشوئها وتطورها وازدهارها إذ لم تكن تخلو أي مدينة أو قرية كبيرة كانت أو صغيرة منها، بل كانت شرطا من شروط نشأتها وتأسيسها إلا أننا لم نعثر في المصادر التي اعتمدناها على أوصافها المعمارية وتاريخ تأسيسها ومواد بنائها بل اكتفت بذكر وجودها أو عددها؛ ومن هذه المعالم نجد:

أ-المساجد: لم تكن المساجد بمدن وقرى قصور وادي السّاورة مكانا لإقامة الصلاة فحسب؛ بل أصبحت تؤدي أدوارا غاية في الأهمية، لما يجمع فيه من أنشطة كثيرة إذ كانت تقدم فيها حلق الذكر والعلم وتعقد فيه كل الأمور المهمة، ونجد في مسجد قصر بني عباس الرئيسي قريبا من زاوية كرزاز بالسّاورة نموذجا رائدا في هذا المجال؛ إذ أقبل فيه الفقيه أحمد بن أبي محلي على التدريس وتنوعت دروسه فشملت اللغة وقواعدها والحديث والفقه والتصوف وأخذ عنه الكثير من الطلبة. ونعتقد أن دروسه مسّت جميع مساجد القصور التي كان يتنقل إليها، ومنها بالأخص مساجد قصور بني جومي حيث داره هناك بقصر بَرْبي.

كما درّس بالمسجد نفسه عالم الجزائر سعيد قدورة عام 1015هـ–1606م مدة غير قصيرة وخلال شهر رمضان من نفس العام عقد هو وأبو محلي بهذا المسجد دروسا حديثية مشتركة على غرار ما كان يتبع في جامع القرويين بفاس بالمغرب الأقصى، وكان قدورة يمسك بيده نسخة البخاري وعليها سنده المتصل بمحدثي تلمسان ويمسك ابن أبي محلي أخرى بسنده عن الفجيجيين (حجي، 1978: 626)؛ وإلى جانب مسجد بني عباس فإننا نجد:

- مسجد سيدي مَحمد بن أبي زيان بالعوينة؛ والذي حفر له عين ماء بالقرب منه وسماها بـ "عين البركة"، وكثيرا ما كانت تُسّوى وتعالج بهذا المسجد صغرى القضايا التي

كانت تحدث بين الناس بدوا كانوا أو حضرا من طرف إمامها؛ في حين كانت القضايا الكبرى تعرض على الشيخ بن أبي زيان وهو من يتولاها (اليعقوبي، بدون سنة: 66، 328).

- مسجد سيدي أحمد بن موسى الكرزازي بأقدال؛ إذ جعل عند بابه ساقية عرفت بساقية إتكوميت، وهذا بغرض توفير الماء للمصلين وضمان طهارته ونظافته، التي تكلف بها مؤذنه سيدي محمد بن إبراهيم البداوي، وكانت تقام بداخل المسجد الحضرة الكرزازية بعد كل صلاة؛ من الصبح إلى طلوع الشمس، وهذا طيلة فصل الشتاء (الكرزازي، 2019: 44، 58).

ب-الزوايا: ارتبطت نشأة بعض مدن وادي السّاورة بتأسيس الصوفية لزواياهم وهذا ما صرحت به لنا المصادر التاريخية التي اعتمدناها؛ إذ تذكر أن هذه الزوايا قامت على قاعدة بشرية عريضة غطت جميع فئات المجتمع من عامة وخاصة وسارت وفق نظام دقيق أشرف على إدارتها خدام يهتمون بالإشراف على مداخيلها المتنوعة من مداخيل زراعية وضرائب وزيارات وهدايا. وقد عرفت هذه الزوايا شهرة واسعة في ظرف وجيز بفضل مقاديمها وهيبة شيوخها، إذ توافدت عليها جماعات كبيرة من الزائرين والحجاج وطالبي العلم والتابعين للنهل من عفة شيوخها وتقواهم ومن علمهم وعدلهم واستقامتهم طالبين بركتهم. هذه المكانة التي حظيّ بها شيوخ الزوايا جعل زاوياهم يمتد صيتها على مستوى المناطق الصحراوية والمغربية وكذا المناطق التلية، فانضموا في أسلاكها وأصبحوا يرددون أفكارها وأورادها ويدفعون الغفارة (huraux, 1931: 38). ومن أشهر وأكبر هذه الزوايا بوادي السّاورة نجد:

1-زاوية القنادسة: كانت أكثر الزوايا شهرةً وإشعاعاً وتأثيراً وأوسعها ثراء، بفضل ما كان لها من أوقاف وإيرادات الأعطيات والفتوح؛ أسسها الشيخ سيدي محمد بن أبي زيان بالقنادسة اهتم فيها بتكوين المريدين الذين تضاعفت أعدادهم بسرعة عجيبة من الرجال والنساء، ساهموا في انتشار زاويته وطريقته عبر ربوع وجهات مختلفة.

2-زاوية كرزاز: رغم قلة إيراداتها ومداخيلها إلا أنها اشتهرت واتسعت بتزايد وتضاعف عدد طلابها ومريديها والفضل يعود إلى مؤسسها الشيخ أحمد بن موسى الكرزازي.

وإلى جانب زاويتي القنادسة وكرزاز؛ نجد زاوية بني جومي الفوقانية التي وضع نواتها الأولى إبراهيم بن محمد جد الولي سيدي عبد المالك بونقاب والذي عمل على تجديدها وإعادة بعثها، وزاوية بني جومي التحتانية لمؤسسها سيدي بن عثمان الجلاوي، وزاوية بني يخلف التي تنتسب إلى سيدي عبد الله بن أمحمد بن الشيخ . إلا أن هذه الزوايا لم تكن لها حظوظ من الشهرة والاتساع كما كان للزاويتين المذكورتين سابقا.

7-خاتمة:

وفي ختام مقالنا هذا نجد أن منطقة وادي السّاورة عُمّرت منذ القديم وعرفت الكثير من الهجرات المتتالية والمتتابعة لأجناس متباينة في عروقها وأصولها تفاعلت مع بعضها البعض، والتي انتشرت على ضفاف وادها الذي كان سببا في هذا التعمير نتيجة ما وفره لهم من مياه ولأراضيهم؛ وبالرغم من قساوة البيئة بهذه المنطقة الصحراوية إلا أن الإنسان استطاع أن يبعث الحياة فيها ويتكيف معها وأن يجعلها قصورا وواحات نخيل ومجاري مياه عذبة وأسواق... بتأسيسه للقصور والمدن والقرى التي اكتسبت أهمية كبيرة متعددة ومتنوعة بسبب موقعها الممتاز المنحصر بين جبال القصور في الشمال وواحات توات في الجنوب، وعلى خط سير القوافل التجارية الكبرى وركب الحج مما كان له آثار حسنة على استمرارها ونموها وتطورها واستقرار الانسان، كما أنها اكتسبت أهمية روحية وعلمية كون رجال الصوفية اختاروها لتأسيس زواياهم التي قامت على قاعدة بشرية عريضة غطت جميع فئات المجتمع من عامة وخاصة. كما أنها اكتسبت خاصية اقتصادية أيضا متمثلة في مختلف الأنشطة من فلاحة ورعي وحرف وتجارة. ونقترح في الأخير أن تنجز دراسات وأبحاث تشمل مناطق أخرى للكشف عن جوانب من تاريخنا المحلي عبر العصور المختلفة.

8-المصادر والمراجع:

1- بن ناصر، أبو عبد الله محمد الدرعي. (بدون سنة). *الرحلة الحجازية الكبرى*. الرباط، المغرب: الخزانة الحسنية.

2- ابن أبي محلي، أحمد. (بدون سنة). *تهييج الأسود من العرب والبربر إلى أهل المدر والوبر والبحر والبر لتهجيج القردة والفهود الخزايا كاليهود من بني الأصفر*. أدرار: خزانة سيدي أحمد ديدي البكرية.

3- مزيان، أحمد. (1988). *فجيج «فكيك» مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر (1845 – 1903)*. مطبعة فجر السعادة.

4-الإفراني، محمد. (1888). *نزهة الهادي بأخبار ملوك القرن الحادي*. (تصحيح السيد هوداس) مطبعة بردين انجي.

5- الوزان، الحسن بن محمد الفاسي. (1983). *وصف إفريقيا* (الإصدار 2). (محمد حجي ومحمد الأخضر، المحرر) بيروت: دار الغرب الإسلامي.

6-العياشي، محمد. (2006). *الرحلة العياشية 1661-1663* (الإصدار 1، المجلد 1). (تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان القرشي) الإمارات العربية المتحدة: دار السويدي للنشر والتوزيع.

7- بلعالم، باي محمد. (2005). *الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات* (المجلد 1). الجزائر: دار هومة.

8- الهلالي، بن عبد العزيز أحمد. (بدون سنة). *التوجه لحج بيت الله الحرام وزيارة قبره -عليه السلام-*. كوسام بأدرار، الجزائر: خزانة سيدي عبد الله البلبالي.

9-حجي، محمد. (1978). *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*. الدار البيضاء، المغرب: مطبوعات فضالة.

10-حمادي، عبد الله الإدريسي. (2013). *صحراء وادي السّاورة تاريخا ومناقب وبطولات* (الإصدار 1، المجلد 1). الجزائر: دار بوسعادة للنشر والتوزيع.

11-حمادي2، عبد الله الإدريسي. (2013). *زاوية سيدي عبد الله بن الشيخ بوادي السّاورة وفروعها بالصحراء المغربية الشرقية تاريخا ومناقب وبطولات* (الإصدار 1). الجزائر: دار بوسعادة للنشر والتوزيع.

12- بن خلدون، عبد الرحمان. (1988). *تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر* (الإصدار 2، المجلد 7). (خليل شحادة، المحرر) بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

13- اليعقوبي، عبد الرحمان بن محمد بن مزيان. (بدون سنة). *فتح المنان في سيرة الشيخ محمد بن أبي زيان*. القنادسة، بشار-الجزائر-.

14- بن عبد الله، عبد العزيز. (1976). *معلمة الصحراء – 1 –* . المغرب: مطبوعات وزارة الأوقاف.

15-مجمع اللغة العربية. (2004). *المعجم الوسيط* (الإصدار 4). مصر: مكتبة الشروق الدولية.

16- السراج، محمد. (1986). *أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب.* (تحقيق محمد الفاسي) فاس، المغرب: مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية.

17- حوتية، محمد الصالح. (2007). *توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية* (المجلد 1). القبة، الجزائر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

18- الكرزازي، محمد بن عبد الكريم. (2019). *المناقب المعزية في مآثر الأشياخ الكرزازية.* (دراسة وتحقيق وتعليق مجدوب مجدوب ولد علي) الجزائر: دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع.

19- سعيدوني ناصر الدين و البوعبدلي المهدي. (1984). *الجزائر في التاريخ* (المجلد 4). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

20-Berenger. (1906). *Notice sur la région de Béni Abbes* (Vol. T.XXVI). (B. d. d'Oran) oran: imprimerie typographique et lithographique L.Fouque.

21-Bouchat(j). (1956). *Beni Ounif (sud oranais), étude géographique historique et médicale.* Alger: Archives de l'Institut pasteur d'Alger.

22-C.Rames. (1941). *Béni Abbes (sud oranais) étude historique géographique et médicale, Archives de l'institut pasteur d'Algérie.* Archives de l'institut pasteur d'Algérie.

23-De la Martinière (H.M.P) et Lacroix (N). (1896). *Documents pour Servir à l'histoire du nord-ouest africain* (Vol. 2). Alger.

24-Devors. (1947:). *Le Touat étude géographique et médicale* (Vol. txxv). Alger: Archives de l'institut pasteur d'Algerie.

25-G.B.M.Flamand. (1921). *les pierres écrites (gravures et inscription rupéstres du nord - africains.* paris.

26-huraux, L. l. (1931). *le nomadisme et la colonisation dans les hauts plateaux de l'Algérie.* paris: édition comite de l'afrique.

27-Stéphan Gsell. (1913). *Histoire Anciénne de L'afrique du Nord, les conditions du Développement Historique les Temps Primitifes, le Colonisation Phénicienne et L'empire de Carthage* (Vol. 1). paris: Librairie Hachette.

28-Suter, K. (1953). *Etude sur la population et l'habitat d'une région du Sahara algérien, le Touat* (Vol. 41, N. 3). extrait de revue de géographie alpine.